# الأسس الفكرية و الابستمولوجية لمنهجية البحث العلمي في علوم التسيير

د/ دبلـــة فاتــــــح
كلية العلوم الاقتصادية و التجارية وعلوم التسيير
جامعة بسكـــرة

**الملخّص:**

يهدف هذا المقال انطلاقا من مدخل ابستومولوجي إثارة و مناقشة بعض التساؤلات الضرورية التي تمكن الباحث في علوم التسيير من اختيار و تبرير موقفه الابستمولوجي عند القيام بأعماله و بحوثه. كيف يمكن أن نثبت أن المعارف المنتجة في التسيير هي معارف علمية؟

ما مدى شرعيتها الابستمولوجية؟ وما هي إذا الأسس الابستمولوجية والمنهجية الخاصة بعلوم التسيير؟ ثم كيف يؤثر تصورنا ونظرتنا للمعرفة على نوعية الطرق المختارة للبحث من أجل وصف، فهم و شرح الواقع الذي ندرسه ؟

**Abstract:**

The aim of this article is to present and discuss some epistemological questions that are of importance to the researchers in the management field.

These questions concern the justifications and the attitudes positioning of the researchers when doing research. So, how can we confirm that the knowledge resulting from management is a scientific knowledge? How legal is its epistemological status? What are the epistemological basis and the methodology of management science?

**مقدمـــة:**

إن ما يميز الباحث العلمي هو إتباعه لمنهج عملي و منطق صارم يتحدد باحترام مجموعة القواعد الرسمية التي يتفق عليها كل الباحثين و يقرها المجمع العلمي والأكاديمي في كل مكان. ولذلك فالباحث يسعى دائما للدفاع عن مصداقيته العلمية بالعمل على تمثيل الحقيقة بطريقة موضوعية بعيدة عن التحيز و عن الأحكام السبقية. إلا أن هذه الموضوعية قد تختلف طبيعتها من علم لأخر، فلكل علم خصوصياته وشروطه و أدواته. وبالنسبة لعلوم التسيير التي تبقى الأكثر حداثة بين كل العلوم الاجتماعية والإدارية فالبحث العلمي فيها في تطور مستمر، ونتائج مختلف الإضافات والتراكمات البحثية المحققة في علوم التسيير تهدف جميعها لتثبيت مقام المعرفة المنتجة و تحديد طبيعتها وإضفاء صفة القبول و الشرعية العلمية عليها. إلا أنه في هذا الإطار مازال هناك جدل علمي واسع فيما يتعلق بهذه المفاهيم: المعرفة، العلم، طرق الحصول عليها، و كذلك طرق تثبيتها و توثيقها. فهل هناك تعريف دقيق لما يمكن أن تعنيه المعرفة العلمية ؟ ما هي خصائصها ؟ كيف نحصل عليها ؟ كيف نتحقق من صحتها؟ ما هي طبيعة النماذج المتوفرة للبحث و كيف يتم الاختيار بينها؟ كيف تتحدد معالم طريقة الاستقصاء و كذلك المقاربة البحثية المستخدمة لأجل إنتاج المعرفة العلمية؟ إن الهدف من هذه الدراسة هو عرض و مناقشة بعض الأسس و القواعد المنهجية التي تعرضها النماذج البحثية الابستمولوجية المستخدمة في علوم التسيير و التي ينبغي أن تؤطر كل عمل بحثي و كل بحث علمي.

**1. البحث العلمي في علوم التسيير: هل هو فرصة أم إعاقة ؟**

في مقدمة كتابه مع المجموعة يبدأ البروفيسور **Thièthart, R.A**[1] الحديث بتعريف التسيير بأنه مجال بحث واسع الأفق وأنه الطريق التي يمكن بها: قيادة، توجيه (تنظيم)، هيكلة وتطوير المنظمة، ويمس كل الجوانب المنظماتية المتعلقة باتخاذ القرار و التي يتضمنها سير عمل المنظمة ، وهو يتعلق كذلك بمشاركة كل الأطراف أي إدماجهم في الجهد الجماعي من أجل خلق قيمة تشاركيه لأن مشكلة التسيير كما يقول Thiétart

تكمن في الطريقة التي يمكن بها جعل مجموعة اجتماعية تتعايش بهدف إنتاج جماعي بدلا من إضافات الخبرات الفردية ، فنحن لا نرى الشيء الواحد بنفس الطريقة وكل ذلك يتم حسب تصورنا وتمثيلنا للواقع بطريقتنا الخاصة. كما أن المواضيع المدروسة في التسيير كثيرة ومتنوعة، وهي تمس كل الجوانب الروتينية وتركز خصوصا على أداء الفرد، ولذلك فإن أسئلة البحث تكون بالضرورة نتيجة المزج بين الموضوع (objet) ماذا ندرس؟ وبين الهدف أو الغاية (لماذا؟ في أي إطار؟)، وطريقه (كيف نعمل؟). هناك إذن نظرات، طرق، ونظريات كثيرة تشكل في نفس الوقت فرصة وإعاقة للبحث في علوم التسيير.

**2.إنتاج المعرفة والتبرير الابستمولوجي للعلم :** مع نهاية القرن الثامن عشر بدأ يتحدد مفهوم العلم بالمعنى الحديث الذي يعني المعرفة، فالمعرفة بصورة عامة تعني حديث أو خطاب "Discours[2] " يفترض أنه صحيح أو صادق، و هي تتعارض مع الجهل الذي يعتبر فراغا كما تختلف عن العلم الذي يمثل معرفة خاصة، لا يعتقد فقط أنها صحيحة و لكنها كذلك مطلقة. المعرفة هي إذا ذات طبيعة خاصة : علمية، موضوعية، قابلة لإعادة الإنتاج، تراكمية، مفيدة، كاشفة للواقع....الخ. وأضمن طريق نحصل به على هذه المعرفة هو طريق البحث العلمي. حسب (Fortin 1996)[3] من بين كل طرق اكتساب و الحصول على المعارف: البحث العلمي هو أكثرها صرامة والأكثر قبولا لأنه يركز على مسار عقلاني. وهناك من يعرفه أنه استقصاء نقدي وكامل من طرف شخص متخصص على موضوع محدد من أجل التحقق منه، تصحيحه أو إتمامه على ضوء المبادئ الأساسية. وبالنسبة لــ(Seaman 1987)[4] البحث العلمي هو عملية منهجية نظامية لجمع معطيات قابلة للملاحظة والتحقق انطلاقا من العالم التجريبي الذي نعرفه بحواسنا من أجل وصف، شرح، تنبؤ أو رقابة الظواهر إن مصادر المعرفة متعددة، قد تكون نظرية، تطبيقية، معرفة غير رسمية قادمة من الثقافة الشعبية، التقاليد، الخبرات الشخصية....الخ. و لكن السؤال الذي ما زال يثير جدلا يقود أحيانا كثيرة إلى تناقض يكمن في تحديد معنى دقيق لما يمكن أن تعنيه كلمة المعرفة. فهناك الكثير من الكم العلمي حول مصادر المعرفة وطرق الحصول عليها، إلا أن هناك القليل حول تعريفها. و بعبارة أخرى وكما يقول [5] (Denis et al, 1999, p115): المعرفة غنية فيما يتعلق بـــ **كيف** Comment ؟ أكثر

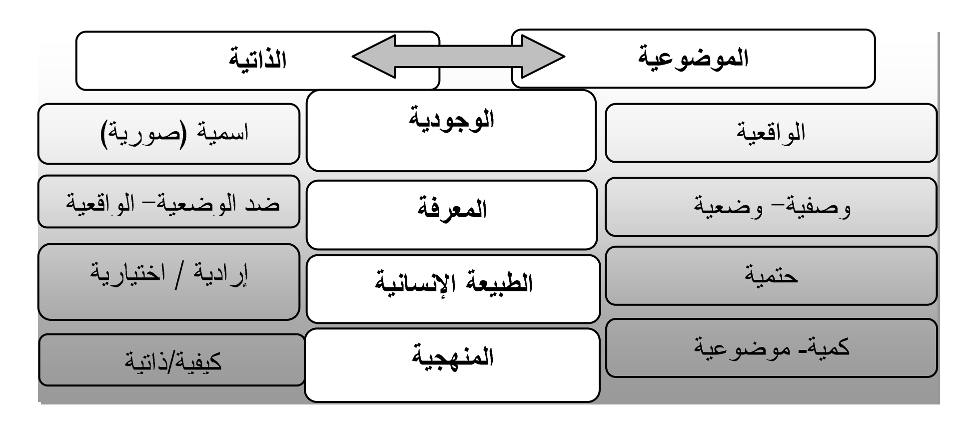
منها بما يتعلق بـــ **فيما** En quoi ؟ ، ويعرفها أنها: تمثيل للواقع. في هذا المجال يبقى من الصعب إيجاد تعريف موحد للمعرفة العلمية نظرا لتدخل التصور الشخصي للباحث في تحديد ما يمكن أن تعنيه هذه الكلمة. هناك من يرى أن : المعرفة تعتبر وصفا للواقع من طرف الباحث (الملاحظ)، والبعض الآخر يرى أنها تمثل تفسيرا للواقع، وهناك أيضا من يرى أنها ابتكار invention أو بناء للواقع، وعن طريق فهم وإدراك هذا الأخير يمكن للمعرفة أن تبنى. و هناك أيضا من يرى أن المعرفة هي الجزء من الواقع الذي تصفه. على الرغم من أن هذا الاختلاف في النظرة للمعرفة و طرقها و معايير شرعيتها قد ساهم بشكل كبير في ظهور و تطور العديد من النماذج الابستمولوجية إلا أن الجدل يبقى قائما لحد الآن حول هذه المفاهيم: **المعرفة/ العلم/ طرق الحصول عليها** .... وهذا هو دور الابستمولوجيا Epistémologie. تشكل الابستومولوجيا أحد فروع الفلسفة، وهناك من يرى أن هذه الكلمة Epistémologie تعني فلسفة العلوم[6]. تشير الابستمولوجيا التي ظهرت كمصطلح لأول مرة سنة 1854 و انتقلت للغة الفرنسية سنة 1901 و كانت تعني فلسفة العلوم إلا أنها بالمعنى الحديث تختلف عنها لأنها غالبا (أي الابستومولوجيا) ما تهمل التركيز على معاني المفاهيم و تركز بدلا من ذلك على دور هذه المفاهيم، و تعرف بأنها ذلك العلم الذي يدرس آلية عمل العلم، و تقوم بتحليل صارم للخطابات العلمية و طرق إنتاجها ، تساؤلاتها تدور غالبا حول مصادر المعارف العلمية و طرق الحصول عليها، ما يميزها عن غيرها من المعارف، كيفية تبريرها و إثبات صحتها، مجالها و قدراتها التفسيرية[7]...الخ. و تشير فلسفة العلوم[8]التي تمثل أحد فروع الفلسفة إلى ذلك التخصص الذي يهتم بدراسة الأسس الفلسفية و الافتراضات و المضامين الموجودة ضمن العلوم المختلفة ، بما فيها العلوم الطبيعية مثل الفيزياء و الرياضيات، و الاجتماعية مثل علم النفس و علم الاجتماع ، من المساهمون الأساسين في فلسفة العلوم التي أصبحت مفتاح شرعية البحوث[9] نجد ايمانويل كانت، ايمري لاكاتوس، كارل بوبر، إدغار موران..الخ.

**3.الصراع بين الذاتية والموضوعية في إطار المعرفة.**

في إطار المعرفة تعرض الموضوعية والذاتية كمفهومين متعارضين نظرا لتعارض الذاتية مع الصرامة العلمية، فإذا كانت الموضوعية تعني: *حالة من يعطي تمثيلا صادقا*

*للشيء* » حسب الموسوعة الفرنسية (*Le Petit Robert 1995, p 1502*)[10] و نشير هنا إلى موضوعية العلم للتعبير عن ما يكون بعيدا عن التحيز والأحكام السبقية (القبلية) بينما الذاتية، فهي حالة تمثيل الأشياء بطريقة ذاتية بإعطاء الأفضلية لحالات الإدراك الشخصي La conscience الذي هو قدرة الفرد على التعرف على واقعه والحكم عليه. بين هذين التعريفين، هناك تناقضات: لماذا لا يتدخل الإدراك إلا في حالات الذاتية ؟ كيف يمكن للموضوعية إذا أن تتمكن من تمثيل الواقع دون أن تستعمل الإدراك؟ بالاعتماد على مبدئي الموضوعية والذاتية استطاع Burell et Morgan[11] وضع الأسس الضرورية لتأهيل علم ما و قدما الشكل التالي :

**الشكل (01) : أسس تأهيل العلم**




**المصدر**: Audet, M et Larouche, V (1988) « Paradigmes, écoles de pensée et théories en relations industrielles », Relations industrielles, V 43, n°1, p 4

1. **الوجودية:** تتعلق بالمسلمات التي تتعلق بمنشأ الظاهرة المدروسة، هناك وضعيتان متقابلتان: الواقعية: العالم الاجتماعي له واقع ملموس وملاحظ مثل العالم الطبيعي، و الاسمية: العالم الاجتماعي له وجود صوري Artificiel
2. **نظرية المعرفة:** تتعلق بأسس المعرفة، تقع بين نقطتين: الوضعية : المرتكزة على المقاربات التقليدية للعلوم الطبيعية التي تعتمد على الاختبار التجريبي للفرضيات

أين يصبح تزايد المعرفة علمية تراكمية بحيث تفيد التجارب السابقة في رسم وإعداد التجارب المستقبلية. وضد الوضعية: يرفض مفهوم الملاحظة المحايد في العلوم ويتصور العالم نسبيا.

3. **الطبيعة الإنسانية :** تتعلق بالعلاقات الموجودة بين الفرد والمحيط: تقع بين نقطتين: الحتمية: الفرد هو بصورة كاملة مسيطر عليه من المحيط. الإرادية : المحيط هو نتيجة تفاعلات الأفراد بينهم.

4. **المنهجية :** تشير إلى علمية أو عدم علمية العلم، طريقة إعداد القوانين، المبادئ، جمع المعلومة وتفسيرها..... تقع بين منهجيتين: كمية : موضوعية تعتمد على الطرق التقنية، الإحصائية و منهجية كيفية: ذاتية تعتمد على التواجد اليومي في الحياة الاجتماعية (سيره ذاتية، جريدة...).

انطلاقا من هنا فان التفكير الابستمولوجي ضروري لأجل إضفاء صفة الشرعية والقبول على العمل البحثي ونتائجه. فكيف تتشكل أسس مرجعية الباحث النظرية والفكرية التي تؤطره عند ممارسة بحوثه ؟ لان كل عمل بحث لابد أن يرتكز على نظرة خاصة للعالم، يستخدم منهجية و يقترح نتائج تهدف للتنبؤ، التقرير، الفهم أو الشرح (Thiétart, Op, Cit, p14).

**4.المداخل الابستمولوجية الأساسية للبحث العلمي:** في علوم التسيير هناك ثلاث مرجعيات بحثية أساسية، الاتجاه الحديث للتسيير يسعى للتقريب بينهما. يرى Thiétart أنه من الأفضل الرجوع إلى استخدام نماذج ابستمولوجية وطرق متنوعة من طرف الباحثين لأن ذلك يشكل ثروة. إن اختيار أحد هذه النماذج يتبع موضوع البحث من جهة، وأحيانا كثيرة معتقدات الباحث وإيمانه الشخصي.

**1.4. أولا، ما هو Le Paradigme ؟** : بالتعريف الحديث للمصطلح فهو يعني نموذج، نظرة للعالم، طريقة تفكير أو مجموعة من الأطروحات (الافتراضات) قابلة للإدراك. حسب تعريف (Kahn, 1983, in Thiétart, p14) فهي تمثل الكثير من النماذج، المخططات العقلية أو الإطارات المرجعية التي يمكن للباحثين في علوم المنظمة أن يندرجوا فيها..الخ. انطلاقا من هذه النماذج تولد مدارس فكرية و نظريات متنوعة.

**2.4. أولا، النموذج الوضعي –الوصفي "الرؤية من الخارج"** هذا النموذج الشمال– أمريكي غالبا ما يعتبر هو المسيطر والأكثر استعمالا في علوم المنظمة لأنه الأكثر واقعية ، يسمى بنموذج النظرة من الخارج أو بابستومولوجيا الملاحظة. يستمد جذوره من العلوم الطبيعية، أي أن الكائن الحي يعتبر جسما organisme وبالتالي فهو نظام حي يخضع لقوانين الطبيعة، الإنسان مثله مثل باقي الكائنات الحية. إن موضوع العلوم الاجتماعية هو المنظمات، السلوكيات و الأفعال و طبيعة المنظمات هي إذا موضوعية وبالتالي ليست هناك إلا حقائق أو وقائع ملموسة مستقلة عن كل الآراء و ينبغي فقط أن تكتشف وتعرف. إذا ظهر هذا النموذج أساسا في العلوم الطبيعية و تأثر بها خاصة بأعمال Durkheim و Comteومن أجل تطبيقه في العلوم الإنسانية والاجتماعية والإدارية كان لا بد من محاكاة المنهج التجريبي المعتمد في العلوم الطبيعية **(ملاحظة– تجربة مخبريه– نتيجة)** بتطبيق طرق وأساليب رياضية وإحصائية متطورة و أكثر صرامة لتعويض هذا النقص. يقوم هذا النموذج على جملة من الأفكار و الاعتقادات والمفاهيم من بينها :

**1.** المعرفة هي وصف للواقع و الهدف هو محاولة الفهم والشرح أو الوصف.

**2.** هناك مسلمة عدم قابلية التغيير بين السلوك ومعناه sujet/objet لا بد من تحييد آثار الظرف الذي يعتبره النموذج كمشوش للموضوع، أي أن الواقع ثابت و المعرفة موجودة بذاتها وعلى الباحث فقط أن يجد القوانين التي تحكمها، الباحث (الملاحظ) Le sujet هو مستقل تماما عن موضوع الدراسة أو الظاهرة L'objet، (ملاحظة الباحث الخارجي للواقع لا يمكن أن تغير من طبيعة هذا الأخير لأن العالم لا ينتمي للذي يدرسه ويلاحظه). المجتمع محل الدراسة أو المنظمات بشكل خاص يمكن أن تعتبر كهياكل مشكلة من تركيبات وأجزاء قابلة للملاحظة وقابلة للقياس، لها علاقات محددة وقابلة للتوقع بينها، والأفراد ليسوا إلا نتاجا لقوى المحيط الخارجية، هذا يعني أن أفعالهم مملاة من طرف قوانين عامة لهذا المحيط و التحدي يكمن في اكتشاف هذه القوانين.

**3.** حيادية التحليل كأحد شروط إنتاج العلم الموضوعي. و لذلك فهو يعتمد فقط على الموضوعية والعقلانية المنطقية في إنتاج المعرفة التي يعتبرها الأفضل ويرفض الأشكال الأخرى التي يعتبرها غير علمية (مصادر المعرفة غير الرسمية مثلا التي تأتي من الخبرات، الحدس، ...). العلم الذاتي، الحدس، القيم، .... لا تنتمي إلى مجال العلم.

**4.** الفرضيات في هذا النموذج تكون واقعية (مطلقة) وكذلك مختزلة تقبل التأكيد أو الرفض, أولوية المعطيات الكمية والسببية المادية. عن طريق الاعتماد على مسارات كمية تتميز بالصرامة العلمية و بمنطق علمي استنتاجي. كما أن قيمة المعرفة العلمية تتحدد بمدى قابليتها للتحقق، التأكد وكذلك الرفض أو الدحض (حسب مبدأ Karl Popper) ، بالإضافة لإمكانية التوقع Prédictibilité كمعيار لعلمية العلم Scientificité.

**4.3.ثانيا، النموذج التفسيري "الرؤية من الخارج"** اقترحه **Kuhn** سنة 1983، كنموذج ثالث معارض للنموذج الوضعي الوصفي. وهناك من يجمع بينه و بين النموذج البنائي, و يعتبرونه نموذج بنائي معتدل بالمقارنة مع النموذج البنائي الذي يعتبرونه بنائي جذري، لأن أوجه الاختلاف بينهما بسيطة و معدودة، كما يسميه البعض بالوظيفي نسبة الى المدرسة الهيكلية الوظيفية التي تضم النموذجين معا التفسيري و البنائي. و من بين الأسس التي يقوم عليها :

**1.** فهم الواقع يتم عن طريق التفسيرات التي يقدمها الفاعلون فيه، طريقة بحثه هي إذا حسب Debruyne ظرفية ومؤرخة[12] (Contextualisée et datée). الأفراد يشكلون معرفة لعالمهم عن طريق التفسيرات التي يضعونها بأنفسهم، هذه التفسيرات تقود أفعالهم فيما بعد. السلوكيات والمعاني غير قابلة للفصل وهي تشكل العالم الاجتماعي (المنظمة) و الباحث لا يسعى لوضع قوانين عامة للظواهر المدروسة بقدر ما يسعى لفهم الحياة الاجتماعية الملموسة و لذلك فهو يحاول إعطاء تفسير ملائم لها.

**2.** عملية (إنتاج) المعرفة تمر إذا عبر فهم المعنى الذي يقدمه الأفراد للواقع وبالتالي لا يتعلق الأمر بشرح هذا الواقع ولكن فهمه عن طريق التفسيرات التي يقدمها الأفراد وبالتالي لا بد من الأخذ بعين الاعتبار نواياهم، معتقداتهم، الأسباب، ..الخ. هناك مسلمة Postulat قابلية التغيير الظرفي للعلاقة بين السلوكيات والمعاني، الظرف يؤثر على المعنى المعطى وبالتالي ينبغي مراعاته. أي وجود تبعية و ارتباط بين الباحث والظاهرة المدروسة.

**3.** فرضياته إذا نسبية (سببية مقصودة) و أسبقية البحث بالمعطيات الكيفية.

**4.** يعتمد على الذاتية كطريقة للدخول للتنظير العلمي الذي يتشكل عن طريق التقارب مع الأفراد والحالات المدروسة لأن الأفعال الاجتماعية ليست أشياء وإنما أفعالا مفسرة من طرف الباحثين وعلى الباحث الانطلاق من هذه المعاني.

إن التفسيريين يقدمون فهما مغايرا للفرق بين الفهم والشرح (على عكس الوضعيين- الوصفيين الذي يرون أن الفهم يتضمن الشرح)، بالنسبة للتفسيريين فالأمر لا يمكن أن يتعلق بالفهم الصادر من المعنى الذي يعطيه الأفراد لممارستهم[13]، و بالنسبة للبنائيين فان عملية الفهم تشارك في بناء المعرفة للواقع المدروس وهي مرتبطة بغايات البحث. طريق المعرفة يتشكل تدريجيا ولا يوجد في البداية

**4.4. ثالثا، النموذج البنائي " ابستومولوجيا الفعل"** **Many ways,** حسب هذا النموذج فالأفراد يشكلون واقعهم الخاص بهم (العالم الذي يحيط بهم) ، ليست هناك حقيقة أو واقع واحد بل الكثير وهي أساسا ذاتية. بهذا، فإن الواقع المدروس يتبع الطريقة التي ينظر بها إليه الفرد. يمكن إذا القول أن النموذج الذي يندرج فيه الباحث يؤثر على فهمه للواقع وبالتالي على تكوين المعرفة، فكما يفكر الأفراد بالنسبة لعالمهم ولحياتهم عموما يؤثر ذلك على تصرفاتهم وردود أفعالهم ولا يمكن فهم سلوكياتهم إذا لم يكن الباحث مبدئيا قادر على فهم كيف يفكرون. إن التحدي يكمن هنا في نجاح الباحث في فهم الظاهرة المدروسة حسب وجهة نظر الأفراد محل الملاحظة ومحاولة اكتشاف الأشكال المشتركة للفهم بينهم.

1. البنائية الجذرية تتكلم عن اختراع الواقع، كل شيء ممكن ولا شيء محدد ويمكن للشخص الاختيار. كما أن المعرفة تتشكل بتداخل الباحث مع موضوع البحث لأن العالم مشكل من عناصر شخصية، اجتماعية، ثقافية...الخ. والمعرفة تنتج من هذا التعقيد عن طريق المعاني المعطاة للواقع[14]. المعرفة هنا نسبية و ليست مطلقة. فلا يمكن للواقع أن يكون مستقلا عن إدراك من يلاحظه أو يجربه وبالتالي فهو يتبع من يلاحظه

2. الفرضية تكون عمديه (قصديه) والمعرفة المتحصل عليها تكون ذاتية وظرفية، و كذلك سيطرة البحث بالطرق الكيفية.

## 5. خصائص المعرفة حسب كل نموذج (وضع، طبيعة، طرق الحصول و معايير الصحة)

الجدول التالي يعرض أهم خصائص المعرفة التي ينبغي مراعاتها في كل عمل علمي :

**جدول (01): مختلف الوضعيات الابستمولوجية للنماذج**

| النماذج / أسئلة ابستمولوجية | نموذج وضعي/وصفي | نموذج تفسيري | نموذج بنائي |
|---|---|---|---|
| ما هو مقام المعرفة؟ | فرضية واقعية الموضوع L'objet المعرفة لها منشأ خاص | فرضية نسبية لا يمكن الوصول إلى منشأ المعرفة **تفسيري (أو بنائي معتدل)،** | **بنائي جذري** |
| ما طبيعة المعرفة؟ | استقلالية الباحث عن الموضوع فرضية محددة العالم مشكل من ضروريات | وجود تبعية بين الباحث والموضوع فرضية قصدية[15] (عمدية) العالم مشكل من إمكانيات | |
| كيف تنشأ المعرفة؟ طرق الحصول عليها | الاكتشاف البحث يكون مصاغا بطريقة : كيف؟ لأي سبب..؟ الوضع المفضل: الشرح | التفسير صياغة أسئلة البحث بطريقة: لأي؟ ..من أجل أي؟ الوضع المفضل: الفهم | البناء صياغة أسئلة البحث : لأي هدف (نهاية Finalité )؟ الوضع المفضل:البناء |
| ما هي قيمة المعرفة العلمية؟ معايير قبول صحتها | قابلية التحقق Vérifiabilité قابلية التأكيد Confirmabilité قابلية الرفض أ و الدحض Réfutabilité | - Idiographie[16] - Empathie(تقمص)[17] تكشف التجربة المعاشة ) من طرف الباحث | ملائمة Adéquate قابلية التعلم Enseignabilité |

**(المصدر : .Thiétart, p 14-15)**

باختصار نقول أن طبيعة المعرفة العلمية التي نسعى لإنتاجها، تتبع

1. طبيعة الواقع الذي نريد دراسته (نظرتنا له ، هل هو مشكل أو معطى؟)
2. طبيعة العلاقة بين **Objet/Sujet**
3. طبيعة العالم الاجتماعي الذي نريده؟ (Thiétart, 2003, p21)

**1.5. معايير (أدوات) صحة قبول المعرفة حسب كل نموذج :** ليس هناك اتفاق حول هذه الفكرة (علمية المعرفة ) :

**1.1.5. بالنسبة للنموذج الوضعي- الوصفي:** يمكن بسهولة التمييز بين المعرفة العلمية وغير العلمية عن طريق جملة من الأدوات التي تطبق في كل العلوم (معايير)، فالمعرفة التي تأتي من الاستنتاج المنطقي الرسمي هي علمية وما سواها فهو غير علمي بالإضافة لذلك فهناك 3 معايير أساسية[18]

**1) قابلية التحقق تجريبيا :** لا يكون للمعرفة معنى كيف ما تكون (تحليلية، إجمالية، تلخيصية،...) إلا إذا أمكن التحقق منها.

**2) قابلية التأكيد :** يمكن أن تكون صحيحة ولكنها ليست مطلقة بل احتمالية تصدق في حالات فقط، إذا لا بد من التأكد منها وتجريبها في كل مرة.

**3) قابلية الرفض / الدحض :** حسب هذا المبدأ المشهور الذي عرفه **Karl Popper** "لا يمكن أبدا أن نجزم أو نؤكد أن نظرية ما هي صحيحة ولكن على العكس يمكن أن نؤكد أن نظرية ما غير صحيحة يعني أنها داحضة (مرفوضة)"، إذا تكون النظرية علمية إذا كانت قابلة للرفض وإذا لم يثبت العكس تبقى مؤيدة Corroborée . وغير علمية كل نظرية غير قابلة للدحض, "**مما يعني أنه يجب علينا بناء عروضنا العلمية على فرضيات تقبل الرفض" من أجل ضمان صحة المعرفة المنتجة**. مثال: كل البجعات التي شاهدناها لحد الآن بيضاء ← ملاحظة (فرضية) كل البجعات هي بيضاء ← نظرية يكفي ظهور بجعة واحدة سوداء حتى تسقط هذه النظرية. النموذج الوضعي- الوصفي لا يقبل كما قلنا إضفاء صفة العلمية إلا على الطريقة التي ترتكز (تقوم) على احترام المنطق الرسمي (منطق الاستنتاج Logique déductive) ويرفض إضفاء الشكل العلمي للمنطق الاستقرائي Logique inductive ، المنطق الاستنتاجي هو وحده حسب النموذج الوضعي- الوصفي القادر على إنتاج موضوعي للمعرفة.

**2.1.5. بالنسبة للنموذجين التفسيري والبنائي** هناك خلاف و أحيانا رفض اختزال العلم إلى بعض القواعد المنهجية الابستمولوجية / مازال الجدل قائما حول معايير صحة المعرفة. فكما يرى[19] Stengers, فما هو علم في وقت ما يمكن أن لا يكون علما

في وقت آخر، بالإضافة لخصوصية العلوم الاجتماعية عن العلوم الطبيعية، إذا ليس هناك معايير ضمنية أو ظاهرة للحكم على علمية أو عدم علمية المعرفة ولكن يمكن قبول معايير الحكم على قبول صحة المعرفة Validité التي منها هذه المحاولات :

**1). معيار الملائمة/الموافقة** (Critère d'adéquation ou de convenance) المقترح من طرف **Glaserfeld** سنة 1988 الذي يعتبر بنائي جذري يعتبران المعرفة تعتبر صحيحة انطلاقا من كونها تتوافق مع حالة معطاة.

**2). معيار قابلية التعليم: Enseignabilité**/Le Moigne 1995 ، هذا المعيار يستخدم كذلك إمكانية (إعادة الإنتاج، سهولة الفهم، البنائية) ، بالإضافة للاستقراء كطريقة تفكير يقبل البنائيون أشكال أخرى لإنتاج المعرفة (طرق أخرى للتفكير : القياس، الاستعارة....الخ.

**6. أنماط التفكير المستخدمة حسب كل نموذج :** إن اختيار مقاربة البحث يتبع التموقع في النموذج الذي يختاره الباحث. كما رأينا، فان النموذج الوضعي يقر بالاستنتاج المنطقي فقط كوسيلة للحصول على المعرفة العلمية و يهمل الطرق الأخرى التي تتبناها النماذج التفسيرية و البنائية كالاستقراء و الإبعاد الذي يعتبره البعض حالة من الاستقراء.

**1.6. المقاربة الافتراضية- الاستنتاجية :** تمثل المقاربة المفضلة لأنصار النموذج الوضعي و تعتمد هذه المقاربة **L'approche Hypothético- déductive** على الاستنتاج العقلي المنطقي الذي يذهب من العام إلى الخاص. أي أن الباحث يصوغ سؤال بحثه الذي يكون مستلهما من نظرية ذات قبول عام ثم يضع فرضياته التي تتعلق بحالة خاصة ثم يختبرها من أجل تأكيدها أو رفضها وبالتالي الإضافة إلى النظرية الأساسية جزءا من المعرفة. الاستنتاج هو إذا هو وسيلة للإثبات (البرهان، التبرير)[20] إذا كانت الفرضيات صحيحة فالنتائج كذلك.

**2.6. المقاربة التفسيرية الاستقرائية أو الابعادية :** حسب هذه المقاربة **L'approche Holistico- inductive (Abductive)** التي تعتمد على الاستقراء الذي ينتقل (عكس الاستنتاج) من الخاص إلى العام يمكن للباحث أن يصوغ سؤالا عاما

جديدا للبحث ولكن يجب أن يؤثر ذلك على عملية جمع المعطيات. المنطق الاستقرائي: يسمح بالمرور من الملاحظات الخاصة إلى تصريح عام، لأن الاستقراء هو استدلال تخميني (حدسي) Inférence ، لا يكون هناك استقراء إلا إذا تحققنا من علاقة (دون أن نبرهن على شيء). ثم قياسا مع حالات ملموسة استطعنا أن ندعي أن العلاقة صحيحة على كل الحالات (هذا هو المبدأ المنطقي للاستقراء).

**1.2.6. الإبعاد أو التمثيل L'Abduction** : يمثل أحد أنواع الاستقراء والذي استخدم من طرف ECO و استخدمه **Blaug**[21] سنة 1992 كذلك بلفظ L'Adduction (تحوير أو تقريب من المحور) و يعرفها أنها العملية التي لا تنتمي إلى المنطق و تسمح بالهروب من هذا الإدراك الحسي الفوضوي للعالم الحقيقي عن طريق محاولة التخمين (الحدس L'intuition) على العلاقات بين الأشياء وسحب ملاحظات من هذه التخمينات (Conjectures) ثم اختبارها ومناقشتها[22].

**3.6. الاستنتاج و الاستقراء: تكامل أم عدم توافق** : هناك فرق بين المنطق الاستنتاجي و الاستقرائي ، فالاستدلال غير البرهاني (الاستقراء) في أفضل الأحوال يمكن أن يقنع شخص عقلانيا (منطقيا) والاستدلال البرهاني (الاستنتاج) يجب أن يقنع شخصا حتى لو كان عنيدا كما يقول (Blaug 1992[23]) إلا أن الاستقراء والاستنتاج متكاملين وليسا متناقضين على الرغم من اختلافهما (Thiétart, 2003, p58). هناك اذا إمكانية للتعايش بين هذين النوعين من الاستدلال الأكيد وغير الأكيد بحيث يمكن للباحث أن يستدل من الملاحظة بطرق غير أكيدة على قوانين (الاستقراء) كما يمكن أن تكون تصورات، شروحا أو تخمينات عن طريق الإبعاد ويمكن أن تشكل فيما بعد موضوعا للاختبار Test عن طريق الاستنتاج. الكاتب( Albert David, p 20) يرفض الفصل بين أنماط التفكير الثلاث **: إبعاد – استنتاج – استقراء** ، ويرى أنه يجب استخدامهم مع بعض في حلقة تكرارية بهذا التسلسل إبعاد ثم استنتاج ثم استقراء. كل منها بخصوصيته يحاول أن يساهم في بناء المعارف والتفكير العلمي يحاول أن يمزج و يستخدم هذه الأشكال الثلاث. يمكن إذا أن : أقدم فرضية تفسيرية عن طريق **الإبعاد**، استكشف النتائج الممكنة لهذه الفرضية عن طريق **الاستنتاج** ، أؤكد أو أنفي عن طريق **الاستقراء**. في حالة النفي لا بد من تكرار العملية البحثية، هناك تسلسل : **إبعاد ← استنتاج ←**

**استقراء**[24] و كما يشرح ذلك (Carantini[25], p 90) يقول: كل المعرفة تبدأ بهذا التسلسل: فرضيات تقود إلى ملاحظات مؤطرة بفرضيات، هذه الملاحظات تؤدي لصياغة فرضيات جديدة أو تعديل الفرضيات الأولى وبالتالي إلى ملاحظات جديدة وهكذا إلى النهاية (عملية تكرارية). في هذا الإطار تتداخل طريقة الاستكشاف (الكيفية) المستخدمة بكثرة في النموذج التفسيري و النموذج البنائي مع طرق الاختبار(الكمية) المستخدمة في النموذج الوصفي. في **إطار الطريقة المقارنة "العملية المثلثية La triangulation** (ترجمتنا الخاصة)". بالنسبة لعلم التسيير، و لكي يحوز على الصفة العلمية كان لابد على القائمين عليه من أن يطوروا طرقا تقنية إحصائية متطورة بهدف تعويض الصرامة التجريبية للعلوم الطبيعية، ولكن هذا الانغماس في الطرق الكمية (الإحصاء و الرياضيات) أصبح يهدد الباحث و يحصره في بعض الجوانب الكمية القابلة للقياس ويبعده عن موضوع دراسته. فالكميين كثيرا ما يهملون التعقيد المرتبط بالظواهر الخاصة بالمنظمات ويركزون بدلا من ذلك على الدقة والنظامية. لأجل كل هذا إذا طورت طرق أخرى أكثر نعومة و رقة (Plus fine) مثل دراسات الحالة أين يكون الباحث أكثر قربا من موضوع بحثه حيث يمثل البحث عن المعلومات مرحلة استكشافية Exploratoire والمعالجة لهذه المعطيات يمثل مرحلة تأكيدية Confirmatoire للاستفادة من الطريقتين الكمية والكيفية (طريقة المتغيرات + طريقة دراسات الحالة).

**7. تعليق و مناقشة:**

في الأخير، هل يجب على الباحث أن يجزم الاختيار لأحد هذه النماذج الثلاث أم هناك درجة حرية تسمح له بتكييف وضعيته بطريقة توافقية؟ في الحقيقة مازال هناك جدل كذلك حول هذه الفكرة، فالنموذجين التفسيري و البنائي ينتميان للنموذج الأوروبي – الكيفي– الاستقرائي الذي غالبا ما يعتبر تقريبيا ، و التركيز على الطرق و التقنيات لا يكون إلا جانبيا ولا يكون هناك جهد أو تركيز على التراكمية. الهدف هنا هو تفسير مشكلة في إطارها بشكل عام في حركيتها، والأهمية تكون معطاة أكثر للمعنى منها إلى الطريقة التي غالبا ما تعتبر ثانوية و هامشية. الباحث يستطيع الحصول على المعرفة بطرق عديدة: منها ما هو منطقي والآخر تختلف درجة دقته ولكنه يغذي التفسيرات

المقدمة للأحداث والوقائع كالحدس ، التقاليد، الخبرات الفردية (الشخصية) المحاولة والخطأ... إلخ. النموذج التفسيري والنموذج البنائي يشتركان في نقاط كثيرة، حتى أن هناك من يدمجها مع بعض وهناك من يسمي النموذج التفسيري بالبنائي المعتدل، والنموذج البنائي بالبنائي الجذري، ويختلفان في نقاط قليلة : النموذج التفسيري يريد الحصول على المعرفة عن طريق التفسير، والبنائي عن طريق بناءها أو ابتكارها و يختلفان كذلك في معايير صحة هذه المعرفة كما رأينا في الجدول رقم (01). حسب (Kuhn 1983, in Thiétart, 2003) : فان التفكير في محاولة إيجاد تقارب بين هذه النماذج المتنافسة يندرج في أحد هذه النقاط الثلاثة :أولا، إشارة لعدم نضج العلوم الاجتماعية وخاصة المنظمات، ثانيا، إشارة إلى أن هذه العلوم تمر بأزمة ابستمولوجية، و أخيرا، إشارة لوجود فرصة. بينما يعتقد [26](Scherer 1998) أنه من الضروري اختيار نموذج واحد والالتزام به (حسب هذه النظرة فالنماذج المتوفرة شاسعة جدا ولا يمكن مزجها أو التوفيق بينها ولا يجب أن يتم التحاور بينهم. إن نظرة **Scherer** تلتقي مع من يرون أن هذه العلوم ما زالت في بداياتها ولذلك فهي مرحلة قبلية للاختيار بين هذه النماذج Pré-paradigmatique، قبول هذه الفرضية يعني أن تطور علوم المنظمات سيقود الباحثين لاختيار النموذج الأصلح. حسب [27](Burrell et Margan 79) : فإن اختيار الباحث لنموذج معين يتعلق حقا بإيمانه به وبرغبته الشخصية. (Koenig, [28](1993: يرى أنه يجب أن نجد مجالا مشتركا (معياريا Standard) ، وأن هذه الثروة الموجودة لا بد للباحث أن يستفيد منها ويستخدمها لفهم الظواهر الاجتماعية. من جهة أخرى ، هناك من يرى أن بين هذين النموذجين الوضعي/الوصفي و البنائي (موضوعية وذاتية) هناك مجال للتعايش عن طريق ما يعرف بالذاتية (العقلانية) Subjectivo-rationnelle[29]. تسمح بتمثيل ذاتي-عقلاني للمعرفة وبالتالي تندرج في نموذج يشكل تطورا للنموذج الوضعي يسمى Post- positivisme (بعد الوضعي) ، كنوع من الاتفاق بين النموذجين أي أن الهروب من أحد النموذجين لا يعني أبدا الوقوع في النموذج الآخر، لأن هناك محاولة تجاوز هذا التقسيم والتقريب بين النموذجين, انطلاقا من هنا يمكن أن نقبل في علوم التسيير أن الواقع موجود وكذلك مبني بطريقتين: أولا، في أذهاننا لأنه ليس لدينا إلا تمثيليات للواقع. Des représentations . ثانيا، مبني و مشكل لأن مختلف

الأطراف بما فيهم الباحثين يبنونه أو يساعدون في عملية بنائه[30]. بالنسبة للباحث في علوم التسيير، فالواقع مشكل من حوادث مصطنعة ومن فاعلين يعدونها ويستعملونها ويكونون أجزاء منها[31]. في الأخير و مهما يكن من هذه الآراء المختلفة، فهناك نقطتان أساسيتان يجب على أي باحث القيام بهما[32]: **أولا**، من الضروري القيام بتفكير ابستمولوجي يسمح للباحث بالتعبير بوضوح عن افتراضاته المبدئية. **ثانيا**، لا يجب على الباحث أن يهمل أو يتجنب العوائق العملية التي تضعها أمامه البحوث التجريبية (الاختبارية).

**خاتمة:**

إن النقاش حول النماذج الثلاثة الوضعي، التفسيري و البنائي هو صحيح ومقبول على الصعيد الفلسفي، ولكنه يظهر جدليا و صعبا حين ممارسة البحث كما دلت على ذلك دراسة حول عينة من رسائل الدكتوراه التي تبنت النموذج البنائي وثبت فيما بعد أن نتائجها كانت تحمل بصمات كثيرة للنموذج الوضعي خاصة في المراجع المستخدمة والطرق والأدوات[33]. بالإضافة للتراكمات البحثية في مختلف الميادين وكذلك لنتائج مختلف الأبحاث و الدراسات و الإشكاليات المشكلة للفعل الإنساني الجماعي، علوم التسيير يبدوا الآن جليا أنها تجاوزت هذا الصراع و أصبحت تتمتع بشرعية علمية وبتبرير ابستومولوجي.

**الهوامش:**

[1] Thiétart, R.A et Coll. « Méthodes de recherches en management », 2ème Edition, Dunod, Paris (2003), p 01

[2] Tatiani Burtin et al, (2006) « La science », H&K, France, juillet, p243

[3] In Ecole de Nutrition et d'Etudes Familiales, (1998) Paris, Documents mis sur Internet, http://www./////

[4] In Ecole de Nutrition et d'Etudes Familiales, (1998), Op.cit., p243

[5] Dennis, ST- GYR Tribble et Line Saintonge (1999) « Réalité, subjectivité et crédibilité en recherche qualitative : quelques questionnements », revue Recherches qualitatives, Vol 20, p 115

[6] http://ar.wikipedia.org/Mercredi 18/11/2009 à 10h52

[7] Hélène Hagège (2007) « La démarche scientifique : invariants et spécificités disciplinaires, une approche épistémologique », LIRDEF – Université Montpellier II – IREM « La démarche scientifique » - février, pp 1-2

[8] http://ar.wikipedia.org/Mercredi 18/11/2009 à 10h55

[9] Haxchuel .A « Epistémologie et méthodologies qualitatives » Cours de DEA, GDO, MOPP, Ecole des mines, Nanterre, Paris, p 10

[10] Dennis, ST- GYR Tribble et al, (1999) Op.cit, p 116

[11] Audet, M et Larouche, V (1988) « Paradigmes, écoles de pensée et théories en relations industrielles », Relations industrielles, Vol, 43,N°1, 1988, p 4

[12] In Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op.cit , p 23

[13] Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op.cit, p 23

[14] Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op.cit, p 117

[15] Pour Piaget : La connaissance n'est pas la découverte des nécessités, mais l'actualisation des possibles

[16] طريقة كيفية تعتمد على تحليل المحتوى: سيرة ذاتية، جرائد....الخ.

[17] هي القدرة على أن تضع نفسك مكان الغير ومحاولة التفكير مثلهم (مجموعة اجتماعية)

[18] Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op. cit, p 27

[19] Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op.cit, p 25

[20] Grawitz 1996, in Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op.cit, p 59

[21] Thiétart, R.A et Coll.,, (2003), Op.cit, p 60

[22] Koenig 93 in Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op.cit, p 61

[23] Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op.cit., p 63

[24] Pierce in Albert David, (1999) Op.cit, p 5

[25] Albert David, (1999) Op.cit, p 05

[26], Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op.cit, p 30

[27] Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op.cit , p 31

[28] Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op.cit , p 32

[29] Denis in Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op.cit, P 117

[30] Albert David, (1999), Op.cit., p 15

[31] Albert et David, (1999) Op.cit, p 16

[32] Thiétart, R.A et Coll., (2003), Op.cit, p 32

[33] Curchod, (2003) « La méthode comparative en sciences de gestion : vers une approche quali- quantitative de la réalité managériale », Revue Finance, Contrôle, Stratégie, Vol, 06, n° 02, juin, p 165